الحركات الأصولية والعنف في المجتمعات الإسلامية

أشموني محمد طاهر*

Abstract

The violence phenomenon, which were conducted by some group of Islamic radicalism always luster in many countries. Some writers identified that the rational background of that actions was sociologically than the religious background of the social condition of rising of the movement. However, even though this opinion supported by many arguments, actually the violence conducted by the radical fundamentalism group caused by the texts interpretation that indicate the eclecticism toward the prophet, companions, and the people of Muslim their selves. In other hand, there are several texts of holly book have the absolute truth related the superiority and the characteristic of Islam as the last of heaven religions. This, has caused the coming of Islamic radicalism movement in some Muslim countries like in Egypt, Pakistan, Iran, and soon.

Abstrak

Fenomena kekerasan yang dilakukan oleh sekelompok Islam radikal selalu marak di berbagai negara. Sebagian penulis mengidentifikasi bahwa sebab yang melatarbelakangi perbuatan tersebut lebih bersifat sosiologis dari pada alasan keagamaan melihat kondisi sosial di mana gerakan itu muncul. Pendapat ini meski didukung oleh berbagai argumentasi, namun kekerasan yang dilakukan oleh kelompok radikal fundamentalis ini sesungguhnya lebih di dasarkan pada latar belakang penafsiran teks-teks suci yang mengindikasikan elektisisme terhadap Rasul, sahabat dan umat Islam itu sendiri. Di samping itu terdapat sejumlah teks Kitab suci yang mempunyai kebenaran mutlak yang berkaitan dengan keunggulan dan karakteristik Islam sebagai agama langit terakhir. Hal ini menjadikan gerakan Islam radikal bermunculan di berbagai negara muslim seperti di Mesir, anak benua India, Iran dan lain-lain.

Keywords: Agama, Negara, Tradisi, Politik, Ummah

---

*Mahasiswa Program *Islamic Studies* (S3) IAIN Sunan Kalijaga Yogyakarta.

أ. مقدمة

قبل أن نتحدث عن ظاهرة العنف وجذورها في المجتمعات الإسلامية يجدر بنا في البداية بأن نعرّف العنف الذي يناقشه هذا البحث هو العنف الذي يعتبر فعلا مؤلما قانونيا يمس سلامة الإنسان الجسدية أو المعنوية وغيرها الذي ارتكبتها طائفة معينة من الأصولية في المجتمعات الإسلامية المواجهة ضد الحكام والمسلمين والمسيحيين والسائحين. هذه الأوراق تتناول بعض معالم العلاقة بين العنف والحركات الأصولية المتطرفة في المجتمعات الإسلامية .

ب. جذور العنف في المجتمعات الإسلامية

ينـــزع أغلب الباحثين في رد ظاهرة العنف لدى الجماعات السياسية أسباب اجتماعية مستندة رأيهم في هذا المجال على التحليلات السسيولوجية التي ترجع ظهور الجماعات السياسية الدينية وانتشارها إلى أزمات اجتماعية واقتصادية في البلاد التي تظهر فيها، إلا أن هذا لا يكفي وحده ، لأن ظاهرة العنف الديني أو العنف الذي تمارسه الجماعات السياسية، ذات التمحور الديني ، له خصوصية تختلف اختلافا جذريا عن العنف الذي تقوم به الجماعات السياسية الأخرى البعيدة عن البواعث الدينية ، مثل المنظمة الإرهابية العدمية (نارودنياڤـولیا) أو إرادة الشعب . ومردّ هذه الخصوصية يرجع إلى أمر ذاتي يتعلق بالمنتمين إلى الجماعات الدينية أمراء كانوا أم أعضاء . بل هو في الحقيقة يشمل كافة المؤمنين بالأديان السماوية أو السامية أو الإبراهيمية وهو يزداد توهجا كلما كانت الشحنة الإيمانية لدى المؤمن أو التابع ثقيلة "إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا"[1]، فأتباع هذه الأديان يؤمن كل واحد منهم بأمرين:[2] الأولى هي الاصطفائية : أي أن الله جل جلاله قد ميّز الدين الذي انضوى تحت جناحه وآمن بـــه بأن اصطفى الرسول الذي بلغ الرسالة الخاصة به واصطفى

---

* مساعد مدير برنامج ماجـــستير للدراسات الإسلامية بجامعة الإسلامية الإندونيسية جوكجاكرتا .

[1] سورة المزمل : الآية ٥ .

[2] خليل عبد الكريم ،١٩٩٥، *الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية* ، الطبعة الأولى، القاهرة : سينا للنشر ، ص ٢٣ وما بعدها.

أصحابه الذين عاونوه على التبليغ ثم واصلوا حمل دعوته من بعده واصطفى أمته على سائر الأمم . وتستمر هذه الاصطفائية حتى نهاية الزمان.

الثانية هي الحقيقة المطلقة : فالدين الذي يعتنقه هو وحده من دون سائر الأديان والعقائد هو الذي يملك الحقيقة المطلقة في كافة الشؤن وسائر الأمور والتي لا يأتيها الباطل من بين يديه أو من خلفها ، وإنـــها سوف تظل هي كلمة الرب الأخيرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.[٣] وفي الدين الإسلامي هو آخر الرسالات نزولا من السماء وهو خاتم الرسل ولا نبي بعده، ومن ثم كان من البديهي أن تكون الاصطفائية شديدة التميز باهرة الوضوح سواء بالنسبة للرسول عليه السلام أو أصحابه رضوان الله عليهم أو أمته .

رسالة سيدنا محمد القرآن الكريم معجزة خالدة حية دائمة متجددة إلى يوم القيامة وبعد أن عجز البلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثل القرآن كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل وثبت في كل العصور . إن القرآن توقيفي لم يستطع أحد أن يغير منه حرف أو حركة وجب علينا أن نؤمن بكل ما جاء فيه وأنه ناسخ لجميع الديانات السابقة وإن الدين عند الله الإسلام. تتلخص العقيدة الإسلامية كما جاء في سورة البقرة "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"[٤] وجاء أيضا واليوم الآخر ، إذن ربط الحياة بما قبلها وبما بعدها ، فالمسلم ينظر إلى السماء قبل النظر إلى الأرض والعلماني ينظر إلى الأرض ولا ينظر إلى السماء والإنسان وعقلـــه هو كل شيئ (بتعبير العجلوني).[٥]

والنصوص المقدسة (القرآن الكريم والآحاديث النبوية الشريفة التي تقطع بهـــذه الإصطفائة كثيرة من بينها اصطفاء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام. روي أنه قـــال "بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي"[٦] "إن جبريل أتاني فبشرني بأن الله قد أعطاني الشفاعة"[٧] "أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن : مـــن

---

[٣] وردت النصوص المقدسة في كل ديانة من الديانات الثلاث التي تؤكد ذلك . أنظر : *مصطفى سباعي* ، أنظر أيضا حسن ظاظا، ١٩٧٥، *الفكر الديني الإسرائيلي* ، الطبعة الأولى ، مكتبة سعد رأفت /عين شمس .

[٤] سورة البقرة ، الآية ٢٨٥.

[٥] جريدة : *الرأي* ، الإثنين ١٩٩٦/١١/١٨، الصفحة الثالثة والثلاثون "الإخوان المسلمون في خمسين عاما ، النشأ..المسار..المآل".

[٦] أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

[٧] أخرجه الإمام الطبراني في الكبير وابن عساكر عن عبد الله بن عمر .

أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك "[٨] "مثلي ومثل الأنبـــياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأكملها وأجملها ، إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون : ألا وضعت هنا لبنة فيتم بنيانك –فقال النبي صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة"[٩]

وأما اصطفاء صحابة الرسول رضي الله عنهم فمنها ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :"اقتدوا بالذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود"[١٠]"دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبا ما بلغتم أعمالهم "[١١] "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصفه"[١٢] "...وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم "[١٣]" أنا في الجنة وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف ، قال سعد ابن زيد ولو شئت أن أسمي العاشر سميته قيل ومن هو قال أنا".[١٤]

بجانب الاصطفاء على النبي وأصحابه هناك آيات قرآنية التي تشير إلى اصطفـــاء أمة محمد ، فلنستمع إلى قوله تعالى : "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"[١٥]والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم"[١٦]"أتاني جبريل يبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال : وإن زنى وإن سرق"[١٧]" أهل القرآن أهل الله

---

[٨] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه .

[٩] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه .

[١٠] أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه .

[١١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

[١٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[١٣] أخرجه الإمام أحمد في مسنده

[١٤] أخرجه الترمذي في مسنده وهؤلاء العشرة جميعهم من قريش التي ينص حديث آخر متفق عليه على أن الأئمة (الحكام والخلفاء وأمراء المسلمين) لا تكون إلا منها (من قريش). أنظر عبد الكريم ، *الإسلام* ، *مصدر سابق* ، ص ٢٨.

[١٥] سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

[١٦] سورة محمد ، الآية ٨ .

[١٧] أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

وخاصته"[١٨]"الملائكة شهداء الله في السماء وأنتم شهداء الله في الأرض"[١٩] أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة"[٢٠]

ويقرر الشهيد سيد قطب -رحمه الله تعالى – فأما شعب الله حقا فهو الأمة المسلمة التي تستظل براية الله على اختلاف ما بينها من الأجناس والألوان والأوطان".[٢١]

وأما عن الحقيقة المطلقة فإن الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) يؤكد كل منها نزوله من السماء ، وأنه جاء بالحقيقة المطلقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وبالكلمة الأخيرة من الله سبحانه وتعالى ، وأن على كل من ينضوى تحت لوائها ويستظل بظلها أن يؤمن بذلك إيمانا خالصا لا شائبة فيه ، وأن ما عداها من الأديان والعقائد والشرائع والمذاهب والملل والنحل باطل وزائغ ومنحرف ، وأن الحقيقة المطلقة والكلمة الأخيرة ملك له وحده حتى يرث الأرض ومن عليها. وقد تكرر ذلك عند نزول التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والقرآن على محمد (عليهم جميعا السلام) ، وقرر ذلك وأكده كل واحد منهم بصورة حاسمة وحازمة ، لا لبس فيها ولا غموض ، وفعل ذلك من بعدهم خلفاؤهم من : الشيوخ والرسل والتلاميذ والحواريين والصحابة، والكتب المقدسة للأديان الثلاثة تنص على ذلك بصورة جلية وبألفاظ صريحة وواضحة.[٢٢]

وفي الإسلام قد ذكر القرآن الكريم: ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "[٢٣] "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه مـــن الكتاب ومهيمنا عليه".[٢٤]

فالرسالة المحمدية هي "الرسالة التي جاءت تعرض الإسلام في صورته النهائية الأخيرة ليكون دين البشرية كلها ولتكون شريعته هي شريعة الناس جميعا ولتهيمن على كل من كان قبلها وتكون هي المرجع النهائي ولتقيم منهج الله لحياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها".[٢٥]

---

[١٨] أخرجه النسائي وابن ماجه والحاكم .

[١٩] أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ورمز السيوطي بصحته .

[٢٠] رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه .

[٢١] عبد الكريم ، *الإسلام* ، مصدر سابق ، ص ٣٧ ، نقلا عن معالم في الطريق للشهيد سيد قطب.

[٢٢] ذكر كاتب كتاب "الإسلام بين الدولة الدينية والمدنية" عدة نصوص مقدسة منقولة من التوراة والإنجيل فالمراجعه.

[٢٣] سورة ا آل عمران: الآية ٨٥ .

[٢٤]

أما بعد ذلك فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد".[٢٦]

والذي نفس محمد بيده لا يسمع أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".[٢٧]

نصوص صريحة وقاطعة في الكتب المقدسة السماوية تقطع بأن كل شريعة منها تملك دون غيرها الحقيقة المطلقة والكلمة المنقولة عن الرب جل جلاله ، وهذا ما يؤمن به أتباع كل منها إيمانا مطلقا ، ويسلّم به تسليما دون نقاش . والذي تمتاز شريعته ورسوله وأصحاب رسوله وأمته بـــ(الاصطفائية) يملؤه شعور بـــ(الاستعلاء)على كل من لم يؤمن بما آمن هو به . وكلما كانت شحنة الإيمان عالية –فالإيمان يزيد وينقص كما يرى أهل السنة والجماعة– كلما كانت دفعة الإستعلاء عنده قوية ، بل إنه يحس بـــ (الإستعلاء) حتى على أهل ملته وأمته أنفسهم إن لم يكونوا مساوين له في الإيمان والانصياع لأحكام الشريعة والسير على صراطها المستقيم ، وينظر إليهم أنهم في ضلال، يتعين عليه أن يردهم إلى النهج القويم .[٢٨] ولنعلم أن الرسالات السابقة هي رسالات منهجية بلغها الرسل للناس طبقا لنهج الرسالة وبلسانهم . أما الرسالة الإسلامية وهي القرآن الكريم فهي رسالة نهج ونص معا فالنهج من الله والنص من الله والقرآن كلام الله ومنهاجه وشريعته التي ارتضاها للبشرية كنظام حياة بلا تعديـــل ولا تبديل لأهل الديانات السابقة وللإنسانية كافة.

جاء القرآن بأوامره ونواهه وافعل ولا تفعل ومجموعها تشكل قوانين كاملة فيكون القرآن قد غطى كل مشاكل الحياة ونزل ليحكم به وليكون دستورا فوق دساتير الأرض ونتاج عقول البشر فالخالق أدرى بما خلق، إذن الحاكمية لله والناس مستخلفون عن الله في عمارة الأرض ولا بد من إقامة شرعه ولا بد من تنصيب أمير أو خليفة أو رئيس ليحكم بما أنزل الله.[٢٩]

وتأسيسا على هذا فإن الحركات الإسلامية المتطرفة تختلف مع غيرها من الاتجاهات السلفية في أمور تتصل بالشريعة وليس بالعقيدة ، بما يعني أن السياسة تمارس اليوم في الدين على مستوى

---

[٢٥] سيد قطب، ١٩٨٢، *في ظلال القرآن* ، الطبعة الشرعية الحادية عشر ، ١٤٠٢هـــ، بيروت : دار الشروق ، تفسير سورة المائدة ، ٩٠١/٦.

[٢٦] أخرجه الإمام أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه .

[٢٧] أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

[٢٨] عبد الكريم ، *الإسلام*، مصدر سابق ، ص ص ٣٠-٣١.

[٢٩] هذا هو موقف سياسي جماعة الإخوان المسلمون . أنظر جريدة الرأي ، الثلاثاء ١٩٩٦/١١/١٢م الصفحة الثانية والثلاثون.

الشريعة لا على مستوى العقيدة. وشاهد الجابري[٣٠] على ذلك بالشعار الذي ترفعه هذه الحركات شعار تطبيق الشريعة، لندرك المجال الذي تمارس فيه السياسة . وهكذا ، فبدلا من قضايا الجبر والاختيار والإيمان والكفر والتنـــزيه والتشبيه ...إلخ التي كان يدور حولها النقاش قديما وينقسم المتكلمون بشأنها إلى معتدلين ومتطرفين ، نجد اليوم قضايا أخرى تتصل بالشريعة والفقه مثل قطع يد السارق والربا والحجاب ...إلخ هي التي يدور النقاش فيها ويختلف الناس حول كيفية تطبيق الشريعة فيها، وهذا يعني أن السياسة تمارس اليوم ، إسلاميا ، على مستوى الشريعة وليس على مستوى العقيدة كما كان الشأن في الماضي.

ج. ظاهرة العنف في المجتمعات الإسلامية

ليس من المبالغة كما يقول هيثم منّاع اعتبار الحركة الإسلامية السياسية الابـــن غير الشرعي لوفاة الخلافة العثمانية في شهر آذار (مارس) ١٩٢٤ م . ليس من الغريب أن يكون ظهورها في مصر ، التي كانت آنذاك مركز صراع حقيقي بين الحداثة والتقليد والسلفية والإصلاح والديمقراطية والاستبداد، والتمسك بالقديم ورغبة التجديد. مصر هذه ، التي عرفت عاصفة التجديد الإسلامي مع طباعة الكتاب "الإسلام وأصول الحكم" في نيسان (ابريل) ١٩٢٥م. للشيخ علي عبد الرازق، رمز الأطروحات الإصلاحية الداعية للفصل بين الخلافة ، باعتبارها مؤسسة سياسية دنيوية ، والاسلام باعتبارها تبشيرا روحيا نبيلا وليس استراتيجية سلطة . في هذا البلد أسس حسن ألبنا جماعة الإخوان المسلمين ، التي أصبحت مع الحركة الإسلامية للهندي أبو الأعلى المودودي في باكستان والتيار الحسيني عند الجعفرية (الذي ينتمي إليه الخميني) العربة التي تحمل تفسيرا للإسلام لا يتورع عن اختيار بعض ما في التجربة والثقافة الغربية (كالجمهورية التي عمّدت إسلامية والحزب السياسي في تعبيره اللينيني ، والثورة)، الأمر الذي لم يترافق بتنازلات على صعيد القراءة الأكثر انغلاقا وتقليدية للنص الديني .[٣١]

إن الدعوة إلى فصل الدين عن السياسة على حسب رأي الإخوان هي دعوة غربية الأصل، خرجت من اتون الصراع الدموي القروسطي بين رجال الدين (الكنيسة) ورجال السياسة (النخب

---

[٣٠] محمد عابد الجابري ،١٩٩٤ ، *وجهة نظر : نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر*، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثانية ، ، ص ٥١.

[٣١] هيثم منّاع ،١٩٩٦ ، *الأصولية والعنف في المجتمعات العربية أو الإسلامية* ، "المجلة العربية لحقوق الإنسان" عدد ٣٠المعهد ال...

الفكرية والسياسية) وهي من قبيل الأفكار القاتلة) (بتعبير ابن نبي) التي استوردناها من "صيدلانية الغرب" وقد أثبتت التجارب فشل حاضنائها "الليبرالية ، الإشتراكية...إلخ" في إمكانية إعادة انتاجها محليا في تربتنا ، وذلك بسبب اختلاف الظروف والمناخات التي خرجت وعاشت فيها بالمقارنة مع مناخاتنا وطقسنا الإسلامي الرافض لجذور هذه النباتات وثمارها ، القابل، بذات الوقت ، قضية الانفتاح عليها والاستفادة منها ولكن دون الوقوع في مطبات فقدان الخصوصية والهوية والذات.

وإذا كانت هذه الدعوة مرفوضة باجماع كل علماء الإسلام ومفكريه فإن مقولة "اتساخ الدين بالسياسة" التي دعا إليها العايش[٣٢] و أسس لها علي عبد الرازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" الذي أنكر فيه قيام دولة إسلامية بدعوى أن"لا خلافة ولا ملك في الإسلام" لا تستند إلى رؤية إسلامية وإنما (كما يشيع المدافعون عنها) تستند إلى رؤية سياسية) منع الملك فؤاد من الوصول إلى الخلافة في حالة الشيخ عبد الرازق)، وخاصة أن هذه القضيةلا تثار إلا إذا كان الإسلاميون محور الحديث ، هم طرف المعارضة الذين يرفعون شعارات الحرية والمساواة والعدالة . أما إذا كان غيرهم من السلفية أو الصوفية فإن الإسلام عندئذ مرحب به ولا يثير أي انتباه. وفي هذا الإطار يشير أبو الحسن الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" إلى معادلة التوازن التي يقيمها الإسلام ما بين الدين والدنيا باعتبار (ان استقامة الدين تصح العبادة ، وصلاح الدنيا تتم السعادة) وصلاح الدنيا مشروط عنده بوجود "دين يتبع " و"سلطان " يحكم به "فليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه وطمست أعلامه " ومعادلة التوازن هذه لا تستوجب التطابق مثلما أنها لاتعترف بالتنافر ، وهي منوطة بالأفراد بقدر ما هي منوطة بالمجتمعات " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا " لأن مفهوم الدولة (الحكم) في الاسلام بمعناه الإسلامي المناقض للمعنى الديني (الدخيل) يتشكل من خلال التصور الذي يقوم على عمارة الدنيا والدين معا، على أن الدين هنا ليس غاية مطلقة وإنما وسيلة ، وعلى أن الحاكم ليس مقدسا أو إلها أو مفوضا بالتوقيع عن الله، وإنما هو حارس للدين ، وخادم للأمة (الحكم عقد بين الأمة والإمام) وهو بذلك عكس التصور الغربي (الديني) للدولة والسلطة الذي يعتبر الدين منفصلا عن حياة الناس (ما لله لله وما لقيصر لقيصر) مثلما يعتبر الحاكم (البابا) إلها مطلقا أو ظلا لله تعالى على الأرض ، أو واسطة بين الأرض والسماء ، يجور على العباد باسمها، ويحتكر "سلطتها" وفق فهمه وتأويلاته لها.

---

[٣٢] راجع ما كتبه حسين الرواشدة في جريدة *الرأي* الثلاثاء ١٢/١١/ ١٩٩٦، "الإخوان المسلمون في خمسين عاما

وعن الحكومات الإسلامية على حسب رأي الإسلام السياسي لا تكون الحاكمية لله بمعناها الحرفي المختلط على الكثيرين والذي يصور للناس أن الله هو الذي يحكم بواسطة الخليفة ومن خلال فهمه (كحاكم) مطلق النصوص وتأويـــله وتسويغه لها، بعيدا عن رقابة الشعب، وإنما تنبثق الحاكمية أو سمها (تطبيق الشريعة الإسلامية) من أن الحكم والسيادة والحاكمية لله أصلا ، والناس مستخلفون عن الله في عمارة الكون وإقامة شريعته على الأرض ، وعليهم تنظيما لأمورهم أن يتخذوا من بينهم أميرا أو خليفة أو رئيسا. وبذلك تصبح معادلة الحاكمية في نظر الإسلام . كما يقول المفكر فهمي هويدي نقلا عن جمال الدين عطية كالآتي :

الله..الأمة..الحاكم..، وهو عكس التصور الديني الغربي القائم على نحو الله..الحاكم..الأمة.[٣٣]

ولهذا فلا تفويض إلهيا في الإسلام للحاكم ، ولا أسبقية للغرب الحديث في ابتكار مصطلح "الأمة مصدر السلطات" الذي نعرف تطبيقاته وتجلياته منذ الثورة الفرنسية وحتى الآن ، وإنما يقرر الإسلام وفق روايته لطبيعة الدولة الإسلامية (محمد عبده) تصورا قائما على "اعطاء حقوق للحاكم الأعلى" وهو الخليفة أو السلطان ، وحقوق للقاضي صاحب السلطة الدينية، فالسلطان مدير البلاد بالسياسة (الداخلية والخارجية) وأهل الدين قائمون بوظائفهم وليس له عليهم إلّا التولية أو العزل ولا لهم عليه إلا تنفيذ الأحكام ورفع المظالم" ولهذا لا يجوز كما يقول عبده الخلط بين الخليفة عند المسلمين وما يسميه الافرنج "تيوكراتيك" أي سلطان إلهي ، ذلك أن الإسلام لا يسمح بجمع السلطتين التنفيذية والتشريعية في يد شخص واحد .

هكذا ، ومنذ أكثر من خمسين عاما ، لا تتوقف الحركة الإسلامية السياسية في أشكالها المعروفة عن الدفاع عن المحاور التالية:[٣٤]

- الإسلام نظام شامل يمسّ كل معالم الحياة فهو دولة وحكم وأمة ومبعث القوة والرحمة والقانون والثقافة والعدل والعلوم ومصدر الغنى ، وهو جهاد سيف ورأي وكلمة وعقيدة ومنهج حياة .
- الله هو المشرع الوحيد ، وليس للإنسان أن يعدّل أو يمس فيما أراده الله للبشر من طريقة في الحياة ، ومهمة البشر أن يطبقوا هذا حرفيا.

---

[٣٣] جريدة *الراي* السابق.

[٣٤]

- الإسلام كل متكامل يؤخذ كله أو يترك كله .خذوا الإسلام جملة أو دعوه (سيد قطب).

في باكستان ، رفضت الجماعة الإسلامية وحدة شبه الجزيرة الهندية والإسلام الجغرافي الذي دعت إليه الرابطة الإسلامية لجناح. فحسب المودودي "فإن دولة قومية تحمل راية الإسلام ستكون أشد وطأة في قمع الانقلاب الإسلامي". إلا أن التقسيم الطائفي للمنطقة لم يلبث أن عزّز الأطروحات الإسلامانية التي حصلت على تنازلات كبيرة منذ آذار (مارس) ١٩٥٦، تاريخ تبني الباكستان لدستور مؤسلم . أما في إيران ، فقد نجح صعود التيار الوطني في تهميش الجماعات الأصولية الصغيرة ، إلا أن الشراسة التي حورب بها هذا التيار محليا وأمريكيا ، عبر ضرب تجربة مصدق ، أعطى الفرصة للجهاز الديني الشيعي الذي وجد فراغا كبيرا من ملاحقة الوطنيين والتقدميين. في سورية ومصـــر ، كان التقدم الكبير للحركة القومية العربية وراء وضع حركة الإخوان المسلمين في الثلاجة لزمن . ولم يكن لمحاولات التفجير التي قامت الحركة ضد السينمات والأماكن العامة إلا أن تعزز عزل الحركة في الخمسينات .[٣٥]

حركة الجماعات في أساسها حركة احتجاج اجتماعية سياسية اقتصادية ولكنها وسمت نفسها بميسم ديني "إسلامي" لأسباب منها : أن الثقافة الدينية هـــي الأقـــرب منالا من أيديهم والأكثر توافقا مع تربيتهم ونشأتهم فأغلبهم بدأ حياته بالتردد على (الكتّاب) لحفظ القرآن، ويأخذ جده أو والده أو أخوه الكبير للمسجد لأداء الصلوات ، في سن مبكرة للغاية، وشعائر الدين تملأ عليه الفضاء المحيط به : الأذان ، طقوس شهر الصيام رمضان، الأعياد، خروج الحجاج لمكة لأداء الحج وعودتهم منها وما يصاحب ذلك من احتفالات ، قراءة القرآن في شتى المناسبات : الولادة ، الزواج ، الوفاة.. إلخ.[٣٦]

إذا كانت الحركات الإسلامية الأصولية الذين يستطيعون الدفاع عن أنفسهم جزءا من الظاهرة الإسلامية التي تهدف إلى صحوة الأمة والدفاع عن هويتها وثقافتها ومستقبلها الحضاري ، قد وقعوا في أخطاء نتيجة ممارستهم للإسلام واجتهادهم فيه، فإن من الخطأ أن نحاكم الإسلام بجريرة تلك الأفعال التطرفية . وهذه المحاكمة لا تقل خطأ وخطرا عن محاولة تفكيك الظاهرة الإسلامية وحصرها بدافع التشويه على اتساخها بالعمل السياسي ، فهدف الظاهرة الإسلامية باعتبار الإسلام مشروعا حضاريا لا تحصره دولة معينة أو إطار الحكم . يتعدى الانتظار طويلا عند إقامة دولة ما ..ذلك أن قيام

---

[٣٥] مصدر نفسه.

[٣٦] عبد الكريم ، الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٦٣.

الدولة أو عدم قيامها أمر متروك للمواطنين ، ولهم أن يقرروه ويقبلوا به ، أو أن يرفضوه تبعا للظروف والمناخات السائدة ، ولا يعني ذلك أبدا تعطيل تطبيق شريعة الله ..وإنما الأمر يتعلق برفض إقامة "الدولة الحاكمة" بالقوة والإكراه. أما إذا كانت الأجواء مناسبة فيصبح أمر قيام الدولة الإسلامية فرضا على المسلمين...والدولة هنا ليست غاية ولا هدفا مطلقا وإنما مجرد وسيلة لتحقيق السعادة للعباد ، وتأخر إقامتها لا يعني انتهاء دين الله أو رفضه أو التنكر له أو تعطيل أحكامه ، وإنما يمكن للإنسان -أي كان- على- أن يقيم دينه ويباشر عباداته (في دار الإسلام أو دار الكفر سواء) إلى أن تتهيأ الظروف لإقامة الدولة الإسلامية.[٣٧]

د. الإسلام يرفض الإرهاب

إن الارهاب الفكري — في منطق الإسلام- شيء مقيت لانه يعطل العقل، وينحدر بالمواهب ، ويحرم الإسلام من ذلك التفاعل المثمر بين الحضارات والثقافات، ولذلك نراه يحث الناس في آيات كثيرة على أعمال العقل وإثارة الفكر ، وتنشيط المواهب والملكات، وإذا كان يرفض الإرهاب في مجال الضمير واللسان فمن باب أولى أن يستنكره حين تكون وسيلته هي العنف وقتل الأبرياء وإراقة الدماء ، والمبدأ القرآني واضح في ذلك غاية الوضوح في سورة المائدة : من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا...[٣٨] لأن الجريمة البشعة تتعدى الفرد إلى الاعتداء على النوع الإنساني كله وحرمانه حقه المقدس في الحياة ، والتساهل في اعتداء على حياة فرد واحد كفيل بأن يجعل القتل والقتال بين الناس أمرا عاديا ، ويشجع على الجريمة المنظمة كما نرى في بعض المجتمعات المعاصرة .[٣٩]

غير أننا نرى — مع بالغ الأسف —قدرة الإنسان على التردي بالمبادىء النبيلة، وتسخيرها لغايا ته الخاصة بل ربما لغايات تناقض مراميها ، فقضية الإرهاب يجري التسامح معها واغماض العين عنها ، حين تمارسه دولة معتد به لسبب بسيط هو أن تلك الدول تخدم المصالح الاسترا تيجية للغرب ، ويمكن ان تضيع إسرائيل نموذجها لهذه الحالة ، وفي الوقت نفسه يتم الغرب دولا مسالمة بالإرهاب ،

---

[٣٧] هذا موقف الإسلا السياسي ضد الإخوان المسلمون. أنظر جريدتي الرأي السابقتين.

[٣٨] من سورة المائدة ، الآية ٣٢.

[٣٩] كامل الشريف، ٢٠٠٠، *حقوق الإنسان والقضايا الكبرى* ، جريدة الدستور الجمعة ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ الموافق ٣ آذار ٢٠٠٠م.

ويطبق عليها عقوبات كثيرة لا لشيئ سوى أن تلك الدول لاتسير في الخط المرسوم ، ولاتلتزم بالتعليمات مما جعل قضية الإرهاب قضية مائعة وسلبها الجدية الجديرة بها.

إن الاسلام ينظر لهذه القضية بميزان واحد ، ويتعامل معها كخطر يهدد سلامة الأبرياء سواء صدرت عن دولة أوعن فرد من الأفراد ، والقرآن يدعو المومنين لأن يكونوا عادلين منصفين في الأحوال كلها "وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذاقربى".[٤٠]

الفظائع الإرهابية التي ارتكبتها جماعات العنف الإسلامية ليرد الناس إلى النهج القويم مثلا أو الدوافع السياسي أحيت فرية قديمة طلما رددها المتعصبون من "الفرنجة" ، وهي أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وقد قام "مستشرقون" مشهود لهم بالعلم والموضوعية والنـــزاهة والحياد معا بتفنيد تلك الفرية وقدموا الأدلة الدوامغ علي زيفها ، ولكن عندما أمراء وأعضاء "جماعات العنف والإرهاب" في اقتراف أفعالهم البشعة ، كان رد بعض أو كثير من "الفرنجـــة" في الغرب هو : ما وجه العجب في ذلك ؟ فهؤلاء هم أحفاد من نشروا دينهم بالسيوف والرماح.[٤١]

هذه أحد الطعون الزائفة التي أعطى أمراء وفتية "جماعات العنف والإرهاب" الفرصة سانحة لخصوم الإسلام ليلصقوه به ، ولم تكن هذه هي الإساءة الفريدة التي ساهمت "جماعات العنف والإرهاب" في توجيهها إلى الإسلام والمسلمين.

---

[٤٠] من سورة الأنعام ، الآية ١٥٢.

[٤١] عبد الكريم ، الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٣٨.

المراجع

القرآن الكريم

خليل ، عبد الكريم ،١٩٩٥، *الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية* ،، القاهرة : سينا للنشر، الطبعة الأولى.

جريدة **الرأي** ، الثلاثاء ١٢/١١/ ١٩٩٦ والإثنين ١٨/١١/١٩٩٦.

سيد قطب، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، *في ظلال القرآن* ، الطبعة الشرعية الحادية عشر ،، بيروت : دار الشروق.

عبد الجواد ياسين ، ١٩٩٨، *السلطة في الإسلام "العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ"* ، بيروت : المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.

محمد عابد الجابري ،١٩٩٤م ، *وجهة نظر : نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر*، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثانية .

هيثم مناع ،١٩٩٦م ، *الأصولية والعنف في المجتمعات العربية أو الإسلامية* ، "المجلة العربية لحقوق الإنسان" عدد ٣ ،المعهد العربي لحقوق الإنسان .

جريدة *الدستور* ، الجمعة ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ الموافق ٣ آذار ٢٠٠٠م.